

أساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني (شعر الإمام الشافعي أنموذجا)

د. فوز سهيل كامل نزال*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١١/٣/٢م

تاريخ قبول البحث: ٢٠١١/١١/١٣م

ملخص

تتناول هذه الدراسة لأساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني وما فيه من نصح وإرشاد متخذة من شعر الإمام الشافعي أنموذجا. ولاختيار الشعر في الوعظ الديني قيمته في تجسيم المضامين وتحقيق هدف الواعظ؛ فالشعر بانتظامه في بحور عروضية والتزامه بروي وقافية يسهل حفظه وترديده وتناقله، وهذا أمر مقصود في الوعظ الديني، فحفظ الفكرة يؤدي إلى تفاعل المتلقي بما يحفظ وقد يولد ذلك قناعة بالفكرة المستدخلة وتمثلها بعد ذلك في واقعه حيث يصحح مساره بناء على توجيهات الواعظ.

وقد رصدت هذه الدراسة أكثر أساليب الإقناع اللغوية حضورا في وعظ الإمام الشافعي الشعري وهي: التكرار، التقديم والتأخير، الشرط، التعليل، ضرب الأمثال، الحوار، التفصيل بعد الإجمال، الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وقد جمع في عدد من مقطوعاته الشعرية أكثر من أسلوب لتحقيق القناعة وتنفيذ الفكرة.

Abstract

This study deals with the linguistic persuasion methods in the poetry of religious preaching and what it contains of advising and instructing that is derived from Al-Imam Al Shafe'e poetry as a model.

Choosing the poetry of religious preaching has its value in shaping its contents and accomplishing Al-Da'eah's purposes since poetry follows meter and rhyme, this makes it easy to remember and to transmit ; which is something important in religious preaching. Memorizing the idea and its prevalence which leads to the interaction of the receiver and what he/she memorizes, and it may generate a conviction with the new idea and its representation afterwards.

This study has searched the most common linguistic methods in the poetic preaching of Al-Imam Al Shafe'eto convince the addressee and to change his/her life to the better. These methods are: repetition, condition, reasoning, using proverbs, discussion, explanation after summery, quoting the Holy Qura'n and the honorable Hadith. He used in his poetry more than one method to achieve the conviction and fulfilling the idea.

مقدمة:

واستنكاره عند تلقيه ومراجعته بصورة نفوق القدرة على حفظ النص الثري، وهنا نستذكر قيمة البعد الشعري الذي حرص أصحاب فن المقامة على تحقيقه في مقاماتهم، ليسهل على المتلقي استنكارها ومن ثم حفظها بما تحويه من مضامين علمية وأدبية.

وفي سورة الشعراء يتبين الدور الذي على الشعراء أن يلتزموا به، المتمثل في الدعوة إلى سبيل الله دون الغرق في الوهم الدافع إلى الضلال والتخبط وانفصال القول

تتناول هذه الدراسة أساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني وما فيه من نصح وإرشاد متخذة من شعر الإمام الشافعي أنموذجا.

ولاختيار الشعر في الوعظ الديني قيمته في تشخيص مضامينه وتحقيق هدف الداعية؛ فالشعر بانتظامه في بحور عروضية والتزامه بروي وقافية يسهل حفظه

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

و أدب الوعظ الديني صورة من صور الأدب الإسلامي، ويلحق به ما يسمى: "بأدب الحكمة والوصايا" سواء أكان في الشعر أم في النثر. ومن الدراسات المتخصصة في بيان خصائص أدب الوعظ الفنيّة والموضوعية دراسة عدنان النحوي الموسومة بـ "أدب الوصايا والمواعظ: منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية". وكنت هذه الدراسة، كما ذكر المؤلف في مقدمة كتابه بحثاً قدمه في الندوة العلمية السنوية التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية عن "أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام" سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م بمدينة حيدرآباد في الهند برئاسة الشيخ أبي الحسن الندوي.

ولخص عدنان النحوي في الفصل الخاص بالدراسة الفنية لسمات أدب المواعظ فنذكر أنّ المواعظ تأتي مباشرة قوية لتقرير الحقائق للترغيب أو الترهيب، كما قد تأتي على صيغة السؤال والتعجب والدهشة والدعوة إلى التأمل والتفكير أو الأمر والنهي، وتأتي بأسلوب القصة والخبر والحكمة لتبرز سنن الله في الحياة والكون، أو توظف أسلوب الحوار، وقد تقوم على أسلوب التكرار للتأكيد والتثبيت وأسلوب ضرب الأمثال لتقديم الموعدة في صورة مؤثرة في النفس^(٣) ودراسة شمس الدين درمش الموسومة بـ "الأساليب الأدبية في مواعظ الحسن البصري"، واستخدم درمش أسلوباً أدبياً موجزاً في حديثه عن هذه الأساليب، فقد كان يذكر الكلمات المفتاح في مواعظ الحسن البصري، ثم يوضح بإيجاز بليغ الأسلوب الأدبي الموظف في المواعظ التي انتقاها^(٤).

وتعرض لموضوع الإقناع بالحجة والدليل في الشعر العربي تحت عنوان الحجاج" عدد من الباحثين، نذكر منهم سامية الدريدي في كتابها "الحجاج في الشعر العربي القديم"^(٥)، وفي اختارات المؤلفة أن تنظر في الشعر العربي القديم من زاوية جديدة تعنى بالحجاج أو المحاجة، والنظر في مجموع التقنيات التي يعتمدها الشاعر ليحتج لرأي أو ليحض فكرة محاولاً إقناع القارئ بما يبسطه، أو حملة على الإذعان لما يعرضه،

عن الفعل، بحيث يتحقق القول على أرض الواقع ولا يبقى مجرد كلمات جوفاء **الشعرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ** **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ** **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ذَكَرُوا وَاللَّهُ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** (الشعراء: ٤٢٤-٢٢٧).

والالتزام في الأدب من القضايا النقدية الجدلية التي انقسم حولها النقاد بين معارض يرى أنّ التقيّد بخدمة فكر أو منهج أو رؤية يجعل الأدب أقرب إلى المباشرة والخطابية وسطحية الطرح وهذا يُفقد الأدب كثيراً من جمالياته وصوره الفنية، ومنهم من يرى أنّ الالتزام لا يحدّ الأدب بل يمدّه، وأنّ هذا الأدب يتمتع بالحيوية والقدرة على التأثير والإقناع لما يحرص عليه الأديب من حشد للأساليب التعبيرية البلاغية من بيان ومعانٍ وبيدع^(١). ولن نخوض في بحثنا هذا تلك القضية الخلافية، ولكننا قد نميل إلى الفريق الثاني في أنّ التزام الأديب في شعره ونثره بقضية فكرية أو عقديّة ما، لا يؤدي بالضرورة إلى ضيق خياله وتقرُّم صورته الفنية، بل قد تكون الفكرة التي ألزم الأديب نفسه بطرحها حافزاً للإبداع والإجادة الأسلوبية لإقناع المتلقي والتأثير فيه والتحفيز على تبني وجهة نظره وتنفيذها، فالالتزام التزم بالمضمون لا بالشكل، فللأديب أن يتخذ الجنس الفني الذي يريد لتشخيص فكرته، وقد يتفق الناس في الفكرة ولكنهم يختلفون في طرق التعبير عنها، وهذا يجعل لكل فرد بصمته الأسلوبية الخاصة. وهنا ننقل إلى ما يسمى بـ "الأدب الإسلامي" لأنه صورة من صور الأدب الملتزم؛ حيث تلتزم نصوصه الإبداعية في توجيهها بالإسلام، وما ينبثق عنه من ضوابط عقديّة وفكرية وأخلاقية، وهذا التزام يفتح باباً لا يوصد للحرية، فالمضامين في الفكر الإسلامي استوعبت مفردات الكون المرئي المحسوس، والغيبّي الذي لا تتركه الحواس، ويبقى الإبداع ماثلاً في قدرة الأدب خاصة، والفن عامة على تبليغ الفكرة التي يرضاها الله ورسوله ﷺ^(٢).

مخافة أن تنسى، فالوعظ لا يكون بمعلومة جديدة، إنما ينبه غفلة الموعوظ إلى شيء موجود عنده لكنه غفل عنه^(٩)، فهي هو ذا لقمان الحكيم ينصح ابنه واعظاً إياه بأن يبتعد عن الشرك رغم كونه مؤمناً، ولكنه يذكره، يقول الله تعالى في سورة لقمان: ﴿قَالَ لَقْمَانُ لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ وَمَنْ يَتَّكِبْ فَإِنَّمَا يُغْنِي عَنْكَ كِبَاؤُكَ وَلَئِنَّمَا لَكُم مِّنْهُ حَسْبٌ وَتَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ يَبْهِنُ عَنِ الْبَاطِلِ وَإِنَّ أَكْبَارَهُمْ شُرَكَاءُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ونعود بعد هذه الإطلاقة اللغوية للجزر (عظ)، إلى تمثله في شعر الإمام الشافعي، الذي أبدع في اختياراته لأساليب لغوية أبرزت وعظه، وآتت أكلها في تبليغ الفكرة وما تحويه من نصح أو تنبيه أو إرشاد أو حكمة قصدتها الشافعي، مؤملاً أن يضع متلقيه على الطريق القويم والنهج السليم، مجنباً إياه الضلال والانحراف.

ومن الأساليب اللغوية التي وظفها الشافعي في وعظه الشعري لإقناع مخاطبه:

أولاً: أسلوب التكرار:

والتكرار لغتاً المكر وهو: الرجوع على الشيء، "فكرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى. والكرة: المرة، والجمع: الكرات، يقال: كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه"^(١٠).

والتكرار اللفظي في اصطلاح علماء البلاغة: إعادة الكلمة بلفظها ومعناها في القول مرتين فصاعداً لنكتة^(١١).

وللتكرار اللفظي وظائف حرص البلاغيون على رصدها، فإذا لم تكن له وظيفة دلالية في النص فهو عندهم عيب أو هو "الخذلان بعينه" على حد تعبير ابن رشيقي^(١٢) الذي رصد للتكرار اللفظي عدة وظائف منها: التوكيد، وزيادة التنبية، والوعد والتهديد، والتوجع، والهزاء، والتهكم، والتفخيم والتعظيم، والتشويق، والتلذذ بذكر المكرر، والتوبيخ.

وتنبه علم النفس على أهمية الأثر الذي يولده أسلوب التكرار في متلقيه، يقول الدكتور فهمي مصطفى في كتابه الدوافع النفسية:

وهو أمر قاد المؤلف إلى دراسة نية الحجاج من ناحية وأساليبه من ناحية ثانية، والنظر في طرائق القول الحجاجي، ورصدت الآراء المتعلقة بالحجاج في الشعر، مبيّنة كيف تنتوع الحجج من حيث البنية وتتباين من جهة المصدر؛ إذ منها ما يعود إلى النص الشعري ذاته، ومنها ما يتجاوز إلى مؤسسه، ومتلقيه، وظروف وقوه، يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم وعلاقاته مع سائر الأجناس الأدبية، وخصصت باباً للعلاقات الحجاجية كالعلية، والإستنتاجية، والشرطية، وعلاقات التتابع، والتناقض والإقتضاء، وهذا ما قاد المؤلف إلى طرح قضية دقيقة تتعلق بالعلاقة بين الحجاج والشعرية، إذ فيه ينظر القارئ في الأفاق التي يرتادها الشعر إن دخل باب الحجاج، ويرى ما إذا كان حضور الإقناع في النص يدخل الضم على أهم وظائفه؛ أي الوظيفة الإنشائية الفنية، أم قد يستقيم للشاعر الأمران معاً فيحتج للرأي، ويقنع بالفكرة من جهة ويتفنن في القول، ويضطرب بسحر البيان من جهة ثانية. هذا بالإضافة إلى دراسات أخرى منها دراسة محمد سالم الطلبة الموسومة بالحجاج في البلاغة المعاصرة^(١٣)، وفي هذه الدراسة يُقدّم المؤلف لمفهوم الحجاج قديماً وحديثاً، ويستجلي مكونات الحجاج، وأبنيته، وبلاغته، وعلاقاته بغيره من حقول المعرفة. ودراسة صابر الحباشنة الموسومة بـ"التداولية والحجاج"^(١٤)، وفيها يعرض المؤلف لمنزلة الحجاج والخطاب الحجاجي في البلاغة والتداولية، حيث يعدّ الحجاج باباً رئيساً في المباحث التداولية والأطروحات البريغماتية.

ولقد وجدنا جُلَّ هذه الأساليب في الإقناع والحجاج ظاهرة في مواعظ الإمام الشافعي الشعرية، وهذا ما ستحاول الدراسة تجليله وبيان دور عدد من أبرز الأساليب التعبيرية في إقناع المتلقي والتأثير فيه.

والوعظ (لغة): الوصية والنصيحة بالخير، من وعظ يعظ وعظاً وعظة: إذا نصحه وذكره بالعواقب وأمره بالطاعة، ووصاه بها^(١٥).

والتذكير في الوعظ يكون بمعلومة علمت من قبل

ويؤدي التكرار دور التكافؤ الدلالي حين تتبادل الدوال المكررة الأماكن في نسيج الخطاب، وهذا يؤدي نوره في الإقناع؛ لما فيه من استدلال معياري، ويتضح الاستدلال في قول الشافعي داعياً إلى معاملة الناس بالمثل: زِنْ مَزُونَتَ بِمَزُونَتِهِ.

تَ وَمَا وَزَنْتَ بِهِ فَرْزُهُ^(١٧)

ومثاله في تبادل الأدوار الوظيفية للدوال المكررة قوله في بيان دأب الناس مع الزمان: نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالعَيْبُ فِينَا

وما لزماننا عيبٌ سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب

ولو نطق الزمان بنا هجانا

وليس الذئب يأكل لحم ذئب

ويأكلُ بعضنا بعضاً عياناً^(١٨)

فقوله في الشطر الأول يعطي المتلقي فكرة يؤكد بها في الشطر التالي بتكرار (زماننا) مع نسبة السلوك إلى الزمان، بعد أن نسبه إلى البشر في الشطر الأول انتصاراً للزمان وإدانة للبشر، وتتأكد الفكرة ذاتها، ولكن بعبارة أخرى، تتردد فيها العناصر اللغوية الأساسية في البيت الأول، وذلك في حديثه عن هجاء البشر للزمان، ثم يُشخّص فكرته بصورة يفيها عن الذئب ويثبتها للبشر، ويؤدي التكرار هنا دور التماثل والتكافؤ الذي ترتبط به دلالة الحماية للنظير المشابه من أجل ذكر صفة تتناقض مع المتوقع، زيادة في التوبيخ الذي غالباً ما يُوظف في الوعظ وتعديل السلوك.

ومن الأدوار التي يؤديها أسلوب التكرار في الإقناع، أن يأتي الدالُّ الأولُ مثنياً والدالُّ المكررُ منفياً، ففي إثبات دلالة الدالِّ ونفيها أثرٌ في تهذيب سلوك المتلقي بتقديم البديل الدلالي المراد، وطرح الدلالة التي لا تتفق وفكر الداعية الناصح:

إِنَّ الفقيهَ هو الفقيهُ بفعله

ليس الفقيه بنطقه ومقاله

وكان الرئيس هو الرئيسُ بخُلُقهِ

ليس الرئيس بقومه ورجاله

إنه متى كثر تكرار أمر، تولد تيار فكري وعاطفي يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات هو العدوى، إذ لا يكفي لتحويل الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لا بد لحصول ذلك أن يتكرر حدوثه، فالتكرار هو السبيل الوحيدة لربط الانفعال به، وتركزه حوله، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيب العاطفة^(١٣).

إن تكرار القول، إذا، لا يقل تأثيراً في إثارة الانفعال وتكوين العواطف عن تكرار الفعل، بل إن تكرار القول حافظٌ هامٌ لحدوث الفعل. هذا بالإضافة إلى الحديث عن التكرار اللاشعوري في القول الذي يعكس نفسية المتكلم ومشاعره. وهذا يعني أن التكرار من أساليب التأثير في قلب المتلقي وعقله، وهو السبيل إلى تقوية المعنى في نفسه، وفيه مراعاة للفوارق الفردية في استيعاب الفكرة.

وقد وظّف الشافعي أسلوب التكرار في جل شعره لتحقيق الأهداف الناتجة عن هذا الأسلوب، ومثاله ما جاء في قوله:

فلاخيرٌ يَومٌ ولا يَومٌ

ولا بؤسٌ يَومٌ ولا شقاءٌ^(١٤)

فقد تكررت لا النافية مؤكدة دلالة الزوال وعدم الديمومة، ومؤدية دور التفصيل للمتلقي، الذي سيقنع حين يدرك حقيقة الفناء بترداد النفي الذي لازم الأفكار المسرودة في البيت الشعري.

ومثاله أيضاً ما جاء في قوله مُحذراً المتلقي من الركون إلى نعيم الدنيا:

يَومُ القِيَامَةِ لا مَلٌّ ولا وِلْدٌ

وضمة القير تُتسي ليلة العرس^(١٥)

ويقول مكرراً عبارة (لا خير) ليقنع المتلقي بالترام السلوك الذي فيه خير والذي سيفهم ضمناً:

إذا لم يكن صفوُ الأودادِ طبيعةً

فلاخيرٌ في ودّ يجيء تكلفاً

ولا خيرٌ في خلّ يخونُ خليله

ويلقاهُ من بعد المودة قد جفا^(١٦)

وكذا الغنيُّ هو الغنيُّ بحاله

ليس الغنيُّ بملكه ويماله^(١٩)

إنه بال تكرار، يبين معنى الفقيه، والرئيس، والغني، بما يتناسب مع فكره الديني الأخلاقي، وينفي عن الدوال نفسها الدلالات السلبية التي قد يكون المتلقي متصفا بها بتكراره قبل كلِّ دالٍّ مكرر الفعل الناقص الجامد (ليس) المؤكد فكرة النفي.

كما يؤدي التكرار معنى المقابلة وما فيها من تضاد يُعزِّزُ الفكرة، بإثبات صورها الدلالية المتعاكسة ليقنع المتلقي بنصحته، ففي قوله:
ومن هاب الرجال تهيبوه

ومن يُهنِّ الرجالَ فلن يهابا^(٢٠)

تكررت كلمة (الرجال) ولكنها ارتبطت بالفعل (هاب) في الأولى، وبالفعل (يُهنِّ) في الثانية ارتباطاً جعلها تتضاد دلالياً، وبهذا الأسلوب يقصد الشافعي إلى إقناع المتلقي باحترام الرجال وتقديرهم وتجنُّب إهانتهم، فالصور المتقابلة لا تقبل إلا باختيار واحد فقط، هو الذي يريده الداعية هنا.

واستعمل الشافعيُّ التكرارَ في التعليل، زيادةً في توضيح العلة في ذهن المتلقي، ففي قوله:

فاستعن بالله عن أبوابهم كرماً

إن الوقوفَ على أبوابهم ذلٌّ^(٢١)

تكررت عبارة (أبوابهم) التي جاءت في جملة الطلب في الشطر الثاني، حيثُ العلة وبيان سبب الأمر بالاستغناء، وهذا يسلط الأضواء على المكان المُستغنى عنه ليتجنبه المتلقي.

كما وظَّف التكرار زيادةً في التحذير، وتعزيزاً لدلالة الدالِّ الذي استخفَّ به المخاطب:

أ تهزأ بالذئب وتزدر به

وما تدري بما صنع الدعاء؟

سهامُ الليِّ صائبةٌ ولكيُّ

لها أمدٌ وللامدِ انقضاء^(٢٢)

فالدعاء جاء في الخطاب مرتين؛ الأولى في تركيب السؤال التوبيخي التحذيري، والثانية في السؤال التالي

للسؤال الأول المعزَّز له، بما فيه من دلالة التحذير والتشويق بالتخويف بصنيع الدعاء الذي فصله في البيت الثاني.

ومن صور التكرار في شعر الشافعي التي تُؤدِّي دوراً في تنبيه المتلقي لدلالات الدالِّ المتعددة، فينبغي ذهنه لتأملها بما فيها من طرافة لغوية تُؤدِّي دورها في التوجيه والإقناع استخدامه للجناس التام، وفيه يتكرر اللفظ ويتعدد المعنى، فراه يقول رافضاً المنَّة من مخلوق:

رأيكُ تكويني بميسم منَّة

كأنك كنتَ الأصلَ في يوم تكويني

فدعني من النِّ الوخيم فلقمة

من العيش تكفيني إلى يوم تكفيني^(٢٣)

فـ(تكويني) الأولى تعني تحرقني بمنك، و(تكويني) الثانية بمعنى خلقي ونشأتني، و(تكفيني) الأولى بمعنى تحقق الكفاية والاستغناء، والثانية تعني تغطيتني بالكفن يوم موتي.

ثانياً: أسلوب التقديم والتأخير:

ولهذا الأسلوب أبعادٌ نفسية ونُكتٌ ولطائف بلاغية، قصدتها الشافعي في خطابه مع المتلقي لإقناعه بوعظه ونصحته ووصاياه، فترتيب الكلام في الخطاب الوعظي لا يردُّ اعتباطاً، إنه ترتيب يعكس ترتيب المعاني في النفس والذهن، فالمعنى إذا كان مقدماً في النفس تقدّم في النص، يقول الجرجاني: فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدالِّ عليه أن يكون مثله أولاً في النطق^(٢٤).

ويرى تمام حسَّان أن أسلوب التقديم والتأخير يعكس الفرق بين اللغة العاطفية واللغة العقلية بينما تبقى اللغة العقلية الكلمات في مواقعها النمطية في الخطاب، تتمرّد الكلمات على موطنها، وتشدُّ الرحال إلى مواقع أخرى في النص، محققة أبعاداً دلالية ما كان لها أن تتحقق لو بقيت في أماكنها وذلك في اللغة العاطفية^(٢٥). وهذا ما يحققه أسلوب التقديم والتأخير، الذي يُبنى في علم النحو العربي وقوانين البلاغة على مبدأ أساسي هو الاهتمام

بموضوع القول الرئيس، شخصاً كان أو فكرةً أو غرضاً مقصوداً، يتوجّه إليه الكلام ويسبق إليه الاهتمام.

يقول الشافعي داعياً من تلقّيه إلى الجدّ والمثابرة في طلب العلم والرزق:
ترومُ الوءَ ثم تنام ليلاً؟

يغوصُ البحرَ من طلبِ اللآلي^(٢٦)
فقد قدّم المفعول به (البحر) على الفاعل (من طلب اللآلي)، ليوجّه ذهن المتلقي إلى المكان بما يرتبط به من معنى الصعوبة والامتداد الواسع والعمق، تحفيزاً لقواه وهمته.

ويقدّم الشافعي جملة جواب الشرط (بيوءُ بإثم الآثمين) على جملة الشرط (إذا كتم) تحذيراً لمتلقّيه من سوء العاقبة وتخويفاً له:
وكلّمُ علمَ اللينِ عمّن يريدهُ
بيوءُ بإثم الآثمين إذا كتم^(٢٧)

وتتقدّم شبه الجملة في مواطن عديدة في شعر الشافعي، دالة على معنى التخصيص، والتخصيص ركن من أركان الإقناع؛ لما فيه من توضيح الفكرة ببيانها وتحديدها، ومثال ذلك ما جاء في قوله:

إنّ الملوكَ بلاءٌ حيثما حلّوا
فلا يكنُ لك (في أبوابهم) ظلُّ

ماذا تومّلُ من قوم إذا غضبوا
جاروا عليهم إن أرضيتهم ملّوا؟

فاستغنِ بالله (عن أبوابهم) كرمًا
إنّ الوقوفَ (على أبوابهم) ذلُّ^(٢٨)

حيثُ تقدّمت شبه الجملة (في أبوابهم) على اسم كان في البيت الأول، وتقدّمت في البيت الأخير في شطريه على المفعول لأجله (كرمًا) وعلى خبر إن (ذلُّ). ولا يخفى ما في هذا التقديم من دلالة التحذير بتخصيص المكان المُحدّر منه (أبواب الملوك) ليقتنع المتلقي بتجنبه.

ويقدّم الفاعلُ على الفعل في قول الشافعي، مقتعاً مخاطبته بأنّ الحسد ينزع الودّ وحسن التعامل بين الناس:
وداريتُ كلَّ الناسِ لكنّ حاسدي

مدراته زعتُ وعزّ نوالها^(٢٩)

فمداراة الحاسد شيء صعب المنال، ولذا قدّمها الشافعي لبيّن استحالتها مع كونها هدفًا له؛ وذلك تيسيراً للمتلقي من توقّع خير حاسده، وكأنّه يقول له اترك الحاسد ولا تتأمّل فيه خيرا.

ونراه يقدّم الفاعل على فعله، مسلطاً الأضواء عليه، ليلزم مخاطبه به في قوله:
الجدُّ يدني كلَّ أمرٍ شاسع

والجدُّ يفتحُ كلَّ بابٍ مغلقٍ^(٣٠)
حيثُ يريد الشافعي أن يقتنع مخاطبه باتخاذ الجدّ سبيلاً لتحقيق أهدافه، ولذا نراه يقدّم (الجدّ) على الفعل في شطري البيت، مكرراً مفردة (الجدّ) زيادة في التثبيته والحثّ. ويتقدّم الفاعلُ (ضمةُ القبر) تخويفاً للمتلقي من باب إرشاده ونصحه بالاستعداد للأخرة، وذلك في قوله:

يومَ القيامة لا مال ولا ولدٌ

وضمةُ القبر تُنسي ليلة العرس^(٣١)
ويؤخّر الشافعي الفاعل موحياً للمخاطب بتعطيل دور الفاعل وذلك في قوله:

دع الأيامَ تغرُّ كلَّ حينٍ

فلا يغني عن الموت الدواء^(٣٢)
وقوله:

إنّي بليتُ بأربعٍ يرميني

بالنبلِ عن قسٍ لهنّ صريرُ
إبليسُ والدنيا ونفسي والهوى

أني يفرُّ من الهوى نحريرُ؟!^(٣٣)
فالدواء يتعطلّ دوره عند قدوم الأجل (الموت)، والنحرير وهو العالم النقي، يصعب عليه مقاومة إغراءات الحياة المثيرة لهوى النفس.

ثالثاً: أسلوب الشرط:

ويعدّ أسلوب الشرط من أساليب الإقناع لما يحويه من ثنائية السبب والنتيجة، أو الطلب والجواب، فأقناع المتلقي بسلك ما، يكون بيان عاقبته، إن التزم به أو نفّذه.

وقد وظّف الشافعي هذا الأسلوب في شعره توظيفا فاعلا يوحي لمتلقّيه بمنطقية طلباته حين يتبعها بنتائجها وعواقبها، يقول:

إذ ما أتيت الأمر من غير بابه

ضللتَ وابن تقصد إلى الباب تهتد^(٣٤)

ففي توضيح الشافعي لعاقبة إتيان الأمر من غير بابه بالنتيجة: (ضللتَ)، وعاقبة قصد الطريق القويم الصائب للهدف بالنتيجة: (تهتد)، إقناع للمخاطب بالابتعاد عن السبل المضللة وتحفيز له على الالتزام بالطريق السديد.

ويدعو الشافعي إلى احترام الرجال وتوقيرهم، وينهى عن إهانتهم وتحقيرهم، موظفاً أسلوب الشرط في خطابه، مبيناً عاقبة السلوك، ليقف المتلقي عندها، ويختار السلوك الذي يحقق له الهيبة، يقول:

ومن يهن الرجال فلن يهابا^(٣٥)

ومثاله أيضاً ما جاء في قوله:

ومن يقض حقَّ الناس بعد ابن عمه

وصاحبه الأدنى على القرب والبعد

يعش سيداً يستعذب اللئى ذكوره

وإن تكأخطب أتوه على قصد^(٣٦)

إنه يعزز فريضة المخاطب، ويغريه بتحقيق ذاته إن مارس سلوكاً اجتماعياً يعود بالمنفعة على الآخرين، وبهذا يصلح الشافعي الفرد بسلوك يسعى لتنفيذه بإقناعه بجدواه عليه أولاً، فمن يقض بين الناس بالحق دون محاباة أو تمييز يعش سيداً محمود السيرة والذكر، ويجد النصرة من الآخرين حين تلم به الخطوب.

ويدعو الشافعي مخاطبيه إلى العفة، محذراً إياهم من الزنا ببيان عاقبة سلوكه، وكأنه يقول العاقبة من جنس العمل، فأحسنوا الفعل لتحسن عاقبتكم، فمن يعف تعف نساؤه، ومن يزن يزن به، وفي عقر داره وتنتهك محارمه:

عفواتعف نساؤكم في المحرم

وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

إن الزنا دى فإن أقرضته

كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

مزين يزن به ولو بجداره

إن كنت يا هذا ليبياً فافهم^(٣٧)

ويقدم الشافعي نصحه للمتلقي في جملة جواب الطلب، متبعاً نصحه بالتعليل كسبا لقناعة المتلقي بتنفيذ النصيحة، يقول:

إذا ظالم أبدى من الظلم مذهباً

ولج عتوا في قبيح اكتسابه

قله إلى صرف الليالي فإنها

ستبدي له ما لم يكن في حسابه^(٣٨)

ويقول أيضاً:

إذا حو ذهنك في معنيين

وأعيك حيث الهوى والصواب

فدع ما هويت فإن الهوى

يقود النفس إلى ما يغب^(٣٩)

وقد يوحي توظيف أسلوب الشرط بدلالة المكافأة المنطقية على السلوك، وهذا أيضاً من باب الإقناع المنطقي:

فإن تدن مني تدن منك مودتي

وإن تتأ عني تلقني عنك نائياً^(٤٠)

فمودة الشافعي تنتظر مودة المخاطب ولن تتحقق إلا بتحققها، وإذا جفاه المخاطب فلن يجد منه إلا الجفاء، وهذه ردود أفعال عادلة تكافئ سلوك المخاطب.

رابعاً: أسلوب التعليل:

إن تعليل الأوامر والنواهي وبيان هدف الأمر والناهي، يقنع المتلقي بجدواها، فينفذها لتعلقه بعنتها، ولذا نجد الشافعي يعلل أوامره ونواهيها، لتنفذ على أرض الواقع، وبهذا يحقق هدفه في تقويم سلوك الفرد وتوجيهه:

فادراً الهم ما استطعت عن النفس

س فحملانك الهموم جنون

إن ربك كافك بالأس ما كا

ن سيكفيك في غد ما يكون^(٤١)

إنه يطلب من مخاطبه أن يبعد عن نفسه الهم والأرق بقوله: (فادراً الهم)، ثم يتبع طلبه بتعليين، الأول: (فحملانك الهموم جنون)، يعلله ويوضحه التعليل

ويأتي التعليل مفصلاً للتوضيح والإبانة واتباع

المثال بالمثال، رصداً للفكرة بتحققها المثبت صدتها:

تَعَلَّمَ فليس المرءُ يولدُ عالماً

وليس أخو علم كمن هو جاهلٌ

وإنَّ كبيرَ القومِ لا علمُ عندهُ

صغيرٌ إذا قَتَّ عليه الجاهلُ

وإنَّ صغيرَ القومِ إن كان عالماً

كبيرٌ إذا رُدَّتْ عليه المحافلُ^(٤٦)

إنَّه يأمرُ متلقيه بالعلم: (تَعَلَّمَ)، حضماً وحنثاً، ثم

يُتبع طلبه بعلتين؛ الأولى: (فليس المرء يولد عالماً)،

والثانية: (وليس أخو علم كمن هو جاهل) التي بدأ

يفصلها مثبتاً صحتها، واستعمل في إثباتها التوكيد (إنَّ)

التي جاءت قبل الفكرتين.

كما استعمل في التفصيل الطباق تحذيراً: (إنَّ)

كبير القوم ... صغير)، وتحفيزاً: (إنَّ صغير القوم ...

كبير).

وأدَّت الجملتان المعترضتان (لا علم عنده، إن كان

عالماً) دلالة التفصيل والبيان أيضاً المعللة للخبرين

(صغير، كبير).

ونجد هذا التعليل المُفصل أيضاً في قوله:

إذا المرء لا يرعك إلا تكلفاً

فدعه ولا تكثر عليه التأسفاً

ففي الناس أبدالٌ وفي التركِ راحةٌ

وفي القلب صبرٌ للحبيب وإن جفا

حيث يُقنع المتلقي بالابتعاد عن الشخص المتكلف

المُتصنِّع بقوله (دعه) مُتبعاً هذا الأمر وما فيه من

نصح وتوجيه بالنهي (ولا تُكثر عليه التأسفاً).

ثم يبدأ بتعليل أمره ونهيه بجمل اسمية قصيرة،

تقدّم فيها الخبر على المبتدأ تخصيصاً وبيانا: (ففي

الناس أبدال، وفي التركِ راحة، وفي القلب صبر).

ثم يُفصلّ تعليله تظميماً وتسرية عن المتلقي في

حال تنفيذ نصيحته، ليكون قرير العين ولا يُكثر التأسف:

فما كلُّ من تهواه يهواك قلبه

ولا كلُّ من صافيته لك قد صفا

الثانيان (رباً كفاك بالأمس ماكان سيكفيك في غد ما يكون).

ويبين لمخاطبه بأسلوب يفيض مودة وعتاباً رقيقاً،

معللاً سبب قراره بالبعد:

سأترك حبكم من غير بغضٍ

وذلك لكثرة الشركاء فيه^(٤٢)

فهو يشير إلى علة قراره بالرباط الإشاري (ذلك)،

الذي يربط النتيجة السابقة بالسبب اللاحق، وكأنه

بالتعليل يأمر المتلقي بأسلوب غير مباشر أن لا يُشرك

في حبه أحداً، وهذا أدعى لقبول اعتراضه، ثم نراه يُتبع

تعليله بضرب أمثال تشخص فكرته وتؤيدّ تعليله، فليس

كل تعليل يرتضيه المتلقي ويراه مُقنعاً، والبراعة في

الإقناع هنا تكمن في قدرة الشافعي على رصد الأمثال

التي تخاطب عقل المتلقي، ويجدها مقنعة لا خلاف في

صحتها.

ويتابع قائلاً:

إذا سقط الذبابُ على طعمٍ

رفعت يدي ونفسي تشتهيهِ

وتجتنبُ الأسودُ ورودَ ماء

إذا لم يَكُ الكلابُ ولغنَ فيه

إنْ تُربِ الهزيرُ وراءَ كلب

فها ذاك الذي لا خير فيه^(٤٣)

ومثاله أيضاً هذان البيتان اللذان ينصح فيهما

مخاطبه بالإعراض عن مجازاة الجاهل السفية وعدم

الاكتراث بطعنه أو نمّه:

رُحسُ عن الجاهل السفية

فكلُّ ما قال فهو فيه^(٤٤)

ثم يتبع العلة (كلُّ ما قال فهو فيه) بمثال واضح

لا خلاف في صحته جاء في قالب السؤال الدال على

النفي والاستبعاد والتعجب، فخوض بعض الكلاب في

البحر الفرات لا يندسه:

ما ضراً بوَ الفرات يوماً

أن خاض بعض الكلاب فيه؟!^(٤٥)

على الواعظ الناصح أن يعلل أو امره ونواهيته ليحقق الإقناع فالتنفيذ، فنهيه: (لا تذكر) معلل بقوله: (فكلك عورات وللناس ألسن)، وذلك في قوله:

لسانك لا تنكُرْ به عورة امرئ

فكلك عورات وللناس ألسن^(٥١)

وها هو يأمر بتحمل الناس على علاتهم معللا طبيبه؛ النهي: (لا تأخذ)، والأمر: (ل) بجملة شرطية مبنية على فعل الشرط الذي نهى عنه، وهو تتبع عثرات الناس، وتسليط الأضواء على مآلهم، وعلى النتيجة المنفردة من هذا السلوك إن صدر عن المتلقي، وهو الوحدة وانفضاض الأصدقاء من حوله، وذلك في قوله:

ولا تأخذ بعثرة كلِّ قوم

ولك في: هلم إلى الطريق

فإن تأخذ بعثرتهم يقلوا

وتبقى في الزمان بلا صديق^(٥٢)

وقد يتقدم التعليل على الطلب تمهيداً له وتحفيزاً على تنفيذه بعد معرفة علته، كما جاء في قوله:

ما حكَّ جلدك مثل ظفوك

فذلَّ أتَّ جميع أوك^(٥٣)

وفي قوله:

واعلم بأن العلم ليس يناله

من هممه في مطعمٍ أو ملبسٍ

فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً

واهجر له طيب الرقاد وغلس^(٥٤)

أمر مخاطبه بالعلم: (واعلم)، من باب التنبيه إلى الخبر اللاحق الذي أكده بأن)، وفي هذا نهى غير مباشر بأن لا يجعل هممه في مطعم أو ملبس، وبسبب هذه العلة يوجه خطابه للمتلقي في أمرين متتابعين: (فاجعل .. واهجر ..)، ليتجنب بتنفيذ الطالبين بأن يكون من الجاهلين.

وقول الشافعي العلة في قالب السؤال محملاً إياها تنغيمه الصاعد الغني بالدلالة التي يجليها السياق، في قوله:

وداريت كل الناس لكن حاسدي

مداراته زعت وفو نوالها

ولا خير في كلِّ يخن خليله

ويلقاه من بعد المودة قد جفا

وينكُر عيشاً قد تقادم عهدُه

ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا^(٥٧)

ويفصل في بيان العلة معدداً وراصداً فوائد الاغتراب في طلب العلا؛ ليحفز متلقيه على تنفيذ طلبه في قوله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا

وسافر ففي الأسفار همُّ فواك

تفجُّ همُّ واكتسب معيشة

وعلم وأدابٌ وصحبةٌ ماجد^(٥٨)

وقد يأتي التعليل مختصراً دالاً بمحدود اللفظ على

عالم ممتد الدلالة، ففي قوله:

واختر لنفسك حظها

واصبر فإن الصبر جنة^(٥٩)

يدعو إلى توطين النفس وجعلها على الرضا بعد السعي وتقديم الأسباب، ويتبع هذا الطلب بطلب آخر هو الصبر (اصبر) ثم يعلل طلبه بجملة اسمية تمتاز بالإيجاز (الصبر جنة) ولكنها تفيض بالدلالة؛ فالصبر له طرائقه وتجلياته، وكلمة جنة بما تُوحي به من معنى الحماية والحصانة تكتسب دلالات إضافية حين تُقرن بلفظة الصبر.

ومثال التعليل الدال المختصر قوله:

أمت مطامعي فأرحت نفسي

فإن النفس ما طمعت تهون^(٥٠)

وهنا لا يوجه لمخاطبه طلباً مباشراً، فهو يتكلم عن نفسه: (أمت مطامعي فأرحت نفسي)، ويتبع هذا الخبر بالتعليل الدال المرتبط بالنتيجة المرغوب فيها، وهي راحة النفس بإماتة مطامعها، لأن طمع النفس يدفعها إلى درب الدال والهوان. وهو بهذا الحديث عن النفس وتعليل موقفه يحث متلقيه على السلوك بأسلوب غير مباشر محفزاً إياه بالنتيجة وهي راحة النفس.

ونراه في نصحه يستعمل تركيب النهي، ويتبعه

أيضاً بالتعليل، فنواهي العباد للعباد غير ملزمة، ولذا

وكيف يداري المرء حاسدَ نعمة

إذا كان لا يرضيه إلا زوالها؟! (٥٥)

فالسؤال هنا بما يوحي به من دلالة النفي والاستبعاد واليأس، يبين علة الفشل في مداراة الحاسد وكسب رضاه.

كما يتناوب التعليل مع الطلب في خطابه، زيادة في الإقناع بتفصيل الفكرة، يقول الشافعي:

إن الملوك بلاء حيثما حلوا

فلا يكن لك في أبوابهم ظلُّ

ماذا تؤملُ من قوم إذا غضبوا

جاروا عليك وإن أرضيتهم ملأوا؟!!

فاستغن بالله عن أبوابهم ما

إن الوقف على أبوابهم ذلُّ (٥٦)

حيث نلاحظ أن العلة جاءت في البيت الثاني في قالب السؤال الدال على التوبيخ والاستنكار من سلوك المخاطب الافتراضي.

كما علل الشافعي نصحه للمتلقي أمراً كان أم نهياً في قالب الحوار، وكان أحد أطرافه، فاكتمبت العلة هذه الحيوية في الطرح، كونها ناتجة عن مراجعة كلامية يتبادل فيها المتحاورون الفكرة، فما هو ذا يشكو إلى شيخه وكيع بن الجراح صعوبة ما يلقي في حفظ العلم، وكأنه يطلب من أستاذه أن يجلي له العلة أو السبب:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بئنَّ العلمِ فُرِّ

وفُرِّ اللهُ لا يَهْدِي لعاصي (٥٧)

إنه يترجم لنا مقالة أستاذه شعراً، واستعمل الجملتين الخبريتين (فأرشدني وأخبرني) مبيناً أن إرشاد أستاذه بأن يترك المعاصي جاء معللاً في البيت الثاني في جملتين اسميتين، الثانية توضح العلة بطريقة الاستدلال المنطقي المتسلسل؛ فالعلم نور، و نور الله لا يهدي لعاصي، فاترك المعصية لتتمكن من الحفظ.

ومن التعليل الذي جاء في مشهد حوراي أيضاً:

قالوا سكتٌ وقد خوصمت، قلت لهم:

إنَّ العبابَ لبِ الثرِّ مفتاحٌ

الصمتُ عن جاهلٍ أو أحمقٍ شيفٌ

وفيه أيضاً لصون الو.ض إصلاحٌ

أما ترى الأسدَ تخشى وهي صامتةٌ

والكلبُ يخسى مقاماً وهو نباحٌ (٥٨)

فالشافعي يبين علة موقفه الذي اعترض عليه محاوروه، ويبدأ بالتفصيل، ليقنعهم بصواب موقفه في البيت الثاني، ثم يستعين بصورة تمثيلية تؤيد رأيه، وفيها يلمح بالرمز إلى كونه أسداً، وخصومه الذين خاصموه كلاباً نباحة، وكأنه بهذه الصورة التعبيرية، يقدم لمخاطبه السبيل الذي عليه أن يسلكها في حوار مع الآخرين، ويخيره بأسلوب غير مباشر بأن يكون كالأسد الذي يخشى وهو صامت، أو يكون كالكلب الذي يزجر ويهان وهو نباح، ولا شك عنده في أن مخاطبه سيختار أن يكون كالأسد، وبهذا يحقق الشافعي هدفه في إقناع مخاطبه.

ويكرر استعادة فكرته السابقة في مقطوعة شعرية أخرى، وهذا أيضاً من أساليب الإقناع؛ حيث يلاحق المتلقي بالفكرة ذاتها في عدة مواضع وبأساليب متعددة، يقول:

إذا نطقَ السفيهُ فلا تُجبهُ

فخبرٌ من إجابته السكوتُ

فإن كَلَمْتَهُ فَرَجَّتْ عَنْهُ

وإن خَلِيَّتُهُ كَمَدَا يَمُوتُ (٥٩)

وهو بهذا يقدم الخيار الأفضل لمتلقيه في بيان العلة بالمقارنة بين حالين؛ الكلام المؤدي إلى تفريج همّ الخصم، أو الصمت المؤدي إلى موته كمداء، ولا شك في أن المخاطب سيختار الحال الثانية.

خامساً: أسلوب ضرب الأمثال:

وهو من أساليب الإقناع والتوجيه والإرشاد؛ لما يحققه من بيان المعاني والأفكار والصور الذهنية المجردة بتقريبها من الذهن، لتكوين صورة لهذه المعاني في المخيلة، فيكون تأثير المتلقي بهذه الصورة أقوى من تأثره بتلقي الأفكار المجردة.

بين الله ﷻ في كتابه العزيز أن ضرب الأمثال أسلوب وعظي يدفع الناس للتفكير فالإيمان، يقول تعالى: **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** (الرؤم: ٢٧).

واستعان الإمام الشافعي بأسلوب ضرب الأمثال في كثير من أشعاره جامعاً بهذا الأسلوب بين الغاية الفنية في التعبير، وإبراز المعاني في صورة مشخصة لتوضيح الغامض، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، وتحفيز العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم. كما يدفع أسلوب ضرب الأمثال المتلقي إلى التذكر لما فيه من ربط المتماثلات.

ومن أشعاره التي برز فيها هذا الأسلوب في الإقناع، قوله ناهياً مخاطبه من طلب البشاشة والكرم من البخيل:

ولا ترج السماحة من بخيل

فما في النار للظمان ماء^(١٠)

إنه يقنع مخاطبه بطلبه مستشهداً بصورة تمثيلية واضحة لا مجال للتشكيك بصحتها، هي استحالة وجود الماء في النار، وفيها سيربط المتلقي بينه وبين الظمان، وبين الماء والسماحة، وبين البخيل والنار، وهذا قياس مقصود تحقيقاً للقناعة العقلية.

ويدعو الشافعي إلى صون العلم وعدم تضييعه بتقديمه إلى جاهل لا يقدر فضله، مشخصاً دعوته بصورة تمثيلية لإنسان أتقن البناء، فلما تم وبرز هدم ما بناه، فأصبح ركماً، يقول:

فمن حوى العلم ثم أودعه

بجهله غيَ أهلك ظلمة

وكان كالمبنتي البناء إذا

تم له ما أراد هدمه^(١١)

ويطرح الإمام الشافعي فكرة تقلب الدهر وغمطه للأشراف حقهم، تسرية عن متلقيه صاحب المكانة والعلم والشرف، الذي قد يتعرض للإهانة والتهميش، وذلك في صورتين تمثلان الفكرة تمثيلاً جلياً، يقول:

الدهر يومان: ذا أمنٌ وذا خطٍ
والعيشُ عيشان: ذا صفوٌ وذا كَرٍ
أما ترى البحرَ تلعو فوقه جفٍ
وتستوقُّ بأقصى قاعه للور

وفي السماء نجومٌ لا عداد لها
وليس يكسِفُ الشمسُ والقمرُ^(١٢)
وقد بدأ المشهد التمثيلي السابق بقوله: (أما ترى ...)، وهو سؤال تحفيزي يدعو للتأمل والتدبر، مخاطباً حاسة البصر في تمثل الصورة ببصيرة، وبدأ بصورة الجيف التي تطفو على سطح البحر بينما ترسب الدرر في قاعه، وأتبعها بصورة الكسوف الذي يعرو الشمس والقمر دون سائر النجوم والكواكب على كثرتها، وفي الصورتين دعوة إلى تقبل تقلب الدهر بثقة تجعل المخاطب راضياً كونه أصبح في تمثله للصورتين درة ثمينة وشمساً وقمرًا.

وكما أثبت الشافعي صدق فكرته بصورتين في الأبيات الشعرية السابقة الذكر نراه يرصد ست صور تمثيلية متتابعة يُثبت فيها صحة دعوته لمخاطبه بالسفر والاعتراب تحقيقاً للرزق والكرامة، وفي تعدد الصور إثبات لأقصى درجات صدق الفكرة بتحققها في مشاهد عديدة، يقول:

ما في المقام لذي عقل وذو أدب

من راحة فدح الأوطان واغتب

سافر تجدد عوضاً عن تفارقه

وانصدب فإن لذيق العيش في اللُتب

إني رأيت ركود الماء يفسده

إن ساح طاب وإن لم يجر لم يبط

والأسد لولا فراق الغاب ما اقتربت

والسهم لولا فراق القوس لم يضب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة

لملأها الناس من عجم ومن وب

والثبر كالثرب ملقى في أماكنه

والعود في أرضه نوع من الحطب

فإن تَوَبَّ هذا وَ مَطْلَبه

وإن تغرب ذاك وَ كالذهب (١٣)

إنه يؤكد فكرته في كون التعب سبيلا للراحة (إن لذيذ العيش في التعب) بصورة الماء الذي بطيب إذا جرى وصورة الأسد تفارق العرين فترتزق وتقرس، وصورة السهم يفارق القوس فيصيب الهدف، وصورة الشمس تدور فتظهر في مكان وتغيب في آخر فيرغبها الناس وينتظرونها، وصورة الذهب وعود البخور لا تعرف لهما قيمة إلا بانتقالهما من حال إلى حال، فكيف لا يقتنع المتلقي بعد هذه الصور المتتابعة الصادقة التتحقق الواضحة الأبعاد بأن يسافر ويتعب تحقيقا للرزق والراحة؟! ونرى الشافعي يعيد تصوير الفكرة السابقة في شعره، وإعادة الفكرة الواحدة في غير موضع وبأساليب متعددة، كما سبق وأن ذكرنا، منهج ناجح في الإقناع والنصح.

يقول داعيا متلقيه إلى السفر تخلصا من ذل الأهل والأوطان مشدحا فكرته بصورتين؛ صورة العنبر الذي يعلو إذا تغرب، فيحمل على الأعناق بعد أن كان في موطنه روثا، وصورة الكحل الذي أصبح يوضع في الأحداق بعد اقتلعه من أرضه التي كان فيها مجرد حجر مرمي على الطرقات:

أرحل بنفسك من أرض تضام بها

ولا تكن من فراق الأهل في جوق

من ذل ما بين أهليه وبلدته

فالاغتراب له من أحسن الخلق

والعنبر الخلوث في موطنه

وفي التغرب محمول على العنق

والكحل نوع من الأحجار تنظفه

في أرضه وهو مرمي على الطوق

لمتغرب حاز الفضل أجمعه

فصار يحمل بين الجفن والحدق (١٤)

وينكرر في شعر الشافعي أسلوب تعداد الصور التمثيلية في إقناع المتلقي، فما هو ذا يعدد أمورا عسيرة

وصعبة وقد تكون مستحيلة، ثم يطلق عليها خبرا واحدا هو

(أهون) ويقارنها بصورة واحدة هي صورة الإهانة التي

يتعرض لها الحر حين يرجو نوالا من لئيم:

لقلع ضرس، وضب حبس

ونزع نفس، ورد أس

ورق برد، وقود فود

ودبع جلد بغير شمس

وأكل ضب، وصيدب

وصرف حب بأرض خيس

ونفخ نار، وحمل لحو

وبيع دار بربع فلس

وبيع خف، وعدم إلف

وضب ألف بجبل فلس

أهن ف و قفة الج

يرجو نوالا بباب نهس (١٥)

إنه يدعو المتلقي إلى تمثّل صعوبة الأمور التي

ذكرها، ليدرك درجة الهوان التي تعترى الحر حين يقف

بباب اللئيم يرجو عطاءه، فهي أصعب من الصور

السابقة مجتمعة. والمقارنة أسلوب من أساليب الإقناع

وتوضيح الصورة بمقارنتها مع صور أخرى تشابهها.

ويشخص الشافعي تلذذه واستمتاعه بطلب العلم

وتحصيله بصور متتابعة قائمة على أسلوب التفضيل،

مغريا المتلقي بطلب العلم والجد في تحصيله، والإغراء

من أساليب الإقناع الناجعة، يقول:

سهري لتفتح العلوم ألد لي

من وصل غانية وطيب عناق

وصرير أقلامي على صفحاتها

أطلى في الدوكاء والعشاق

وألد من نقر الفتاة لدؤها

نقري لألقي الرمل عن أوراقي

وتمايلي طربا لحي عويصة

في درس أشهى من مدامة سلق

وأبيت سهران الدجى وتبيته

نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي؟! (١٦)

المناسب، وهذا الخبر بقول مؤكّد لا خلاف في صحته، وهو أن السفينة لا تجري على اليابسة.

سادساً: أسلوب الحوار:

يعدّ الحوار من أهم أساليب الإقناع لأنه يُدخل المتلقي في بؤرة المشهد، ويجعله جزءاً أساسياً في خلق الفكرة، وذلك بأن يبتعد الداعية الناصح الواعظ عن أسلوب التلقين في تقديم الفكرة، ويختار منهج الحوار بما يحويه من مراجعة كلامية قائمة على تبادل الأفكار ووجهات النظر، ليجعل المتلقي مشاركاً في طرحها ومناقشتها والتفاعل العقلي العاطفي معها.

وقد وظف الشافعي أسلوب الحوار توظيفاً دقيقاً في جلّ أشعاره التي وجهها للمتلقي، مخاطباً إياه مباشرة بضمير المخاطب، مشعراً إياه أنه هو المقصود بالخطاب، وإن كان يقصد من هذا الخطاب تعميم الفكرة على جمهور واسع من المخاطبين.

واتخذ حواراً عدة أشكال، كان حوار المتلقي المفرد بضمير المخاطب أبرزها، وفيه يظهر صوت الشافعي فقط في المشهد الحوارية، كما جاء في قوله محاوراً مخاطبه حول قيمة الدعاء، مستشعراً كون المخاطب مستهزئاً به:

أ تهزأ بالدعاء وتزدريه

وما تدري بما صنع الدعاء؟! (٦٨)

إن في توجيه السؤال بما فيه من دلالات التوبيخ والإنكار وعظاً للمتلقي بتخويفه.

ونراه يخاطب اثنين مبيناً في خطابه رأيه في

التنجيم، يقول:

خبراً عني المنجم أني

كافرٌ بالذي قضته الكواكب (٦٩)

إنه يجعل في حوار مع المنجم وسيطاً فلا يحاوره مباشرة، وكأنه يترجم بهذا رفضه الاقتراب من هؤلاء المنجمين، ولا يضع وسيطاً واحداً وإنما يضع وسيطين زيادة في البعد والتجنب وإشهاراً للخبر بنشره لا بتخصيصه.

إن الصور التي رصدها في تشخيص فكرته مأخوذة من عالم متقارب، هو عالم الجمال والطرب واللهو، الذي يرغب فيه الناس ويغرقون فيه لذته، وهذا يعني أنها صور جليّة اللذة والمتعة في ذهن المتلقي، وبوضوحها تتضح الفكرة التي أراد الشافعي إيصالها للمتلقي تحفيزاً له على ممارستها، فقد جمّل الشافعي طلب العلم الذي يعدّه المتلقي أمراً يفنقر إلى اللذة والجمال، بمقارنته بصور لا يشك أحد في لذتها وجمالها، كوصال الحسنات وقرى الدفوف وتناول الخمرة.

ثم ينهي خطابه الشعري هذا بسؤال يعجّ بالطرافة المحفزة لهمة المتلقي بالمقارنة والانتصار لذات المتكلم: وأبيت سهران الدجى وتبيته

نوما وتبغي بعد ذلك لحاقي؟!

أي كيف بعد كل هذا ستفوق عليّ!! وفي هذا السؤال دعوة إلى تمثّل الأحاسيس ذاتها عند طلب العلم التي وضحها الإمام الشافعي بتخصيصها.

ويؤدّي أسلوب التمثيل في بعض شعر الشافعي دور التوبيخ والتفريع لتقويم السلوك وتصحيح المسار، فالمتلقي في قول الشافعي:

احفظ لشيبك من عيب يندسه

إنّ البياض قلبي الحلبي للدنس

كحالي لليب الناس يغسلها

وثوبه غارق في الرجس والنجس

تبغي النجاة ولم تسلك طريقها

إنّ السفينة لا تجري على اليبس (٦٧)

لن يمارس السلوك المشين خاصة عند كبر سنه واقتراب أجله، فاللون الأبيض لا يحتمل الشوائب، ومن يعظ الناس ناسياً نفسه يشابه من يغسل ثياب الآخرين وثوبه غارق في النجس.

وفي هذه الصورة توبيخ للمخاطب، إن اقترب هذا السلوك، ويتبع هذه الصورة بصورة أخرى يدخل المتلقي فيها مواجهة له بالحقيقة وزيادة في التوبيخ والتحذير، فيقول له إنك تريد النجاة ولكنك لم تختار طريقها

ويحاور زوجته ويقصد النساء المتزوجات، وكأنه بهذا الحوار يهمس لهن بنصيحة قيمة تحفظ مودتهن في قلوب أزواجهن:

خذي العفو مني تستديمي مودتي

ولتطقي في سو رتي حين أغضب^(٧٠)

ويُقدّم الشافعي مشهداً حوارياً يظهر فيه صوت الآخر في قضية تتعلق بأخلاقيات الحوار في الرد على المخاصم الجاهل بالصمت والإعراض عن مخاطبته: قالوا سكتاً وقد خوصمت، قلت لهم:

إنّ العجاب لب الثرّ مفتاح

الصمت عن جاهل أو أحمق شيف

وفيه أيضاً لصون الو.ض إصلاح^(٧١)

وقال الإمام الشافعي في قبول عذر المسيء في حوار بينه وبين من يلومه على تسامحه وصفحه: قيل: قد آسى عليك فلان

ومقام الفتى على التلّ لمو

قلت: قد جاءني وأحدث عذرا

ديّة الذنب عندنا الاعترا^(٧٢)

إنه في هذه المراجعة الكلامية يبيّن موقفه من أمر قد يحدث، مفترضا حدوثه وما انبنى على حدوثه من جدل، ويعرض بعدها وجهة نظره ببساطة مستندة إلى حجة طريفة توصل الفكرة إلى المتلقي بعد أن تدخله في مشهد درامي قائم على حركة الفكرة بمناقشتها بين طرفين.

ويقول في أدب المناظرة مستشهداً بقول المرثي المفاخر مترجماً بمقولته حاله، وهذه المقولة الحوارية تفوق في قدرتها على التعبير الجملة الوصفية أو الخبرية: إذا ما كتّ ذا فضل وعلم

بما اختلف الأوائل والأواخر

فناظر من تناظر في سكون

حليما لا تلج ولا تكابر

يفيدك ما استفاد بلا امتنان

من النكت اللطيفو والنوادر

وايالك التفاحر: من يراني

غلبت بحجتي الندّ المفخر

فإن الشر في قل هواء

يصير إلى التقاطع والتدابير^(٧٣)

وقد خاطب الجمادات وهو يقصد الإنسان، ففي

قوله:

أمطري لؤلؤا جبالهر ندي

بَ وفيضي آبارَ تكرر تبرا

أنا إن عقتُ لستُ أعدمُ قوتا

وإذا هتُ لستُ أعدمُ قبرا^(٧٤)

نسمعه يخاطب جبال سرنديب في جزر الهند

وآبار تكرر في بلاد الحبشة بقوله للأولى:

(أمطري) ولثالثية: (فيضي)، مظهرها بهنّين

الخطابين عدم الاكتراث بما تتدفق به الأرض من خيرات وثروات، ليوصل بخطابه هذا خطاباً للإنسان، يفخر فيه بهمته وينفسه الحرّة، تحفيزاً له لأن يحدو حدوه.

ويطلب الشافعي من متلقيه أن يقول فكرة يلقنه

ياها، تجسم دعوته، فتأتي النصيحة على لسان المخاطب،

وكان الشافعي يريد الانتقال بمتلقيه من دور المستقبل

للمعلومة، إلى دور المُشارك في إيصالها، وهذا أسلوب

من أساليب الإقناع التي يحقّقها الحوار، فالمتلقي هنا

يتحمّل مسؤولية الفكرة ولن ينقلها إلا إذا اقتنع بصحتها

وحكمتها، وذلك كما جاء في قوله واعظا طالبا من

مخاطبه أن يوجه رسالة أو خطاباً للأعرج ويقصد به

المرء الضليل المستعلي:

تاه الأعرج واستعلى به البطر

فقل له خير ما استعملته الخر

أحسنّت ظنك بالأيام إذ حسنت

ولم تخف سوء ما يأتي به القر

وسالمتك الليالي فاغرت بها

وعند صفو الليالي يحدث الكدر^(٧٥)

وقوله محملاً متلقيه دوراً في الإصلاح والتوجيه

مُلقناً إياه ما يفعله ويقوله:

ولا تأخذ بعثرة كل قوم

ولكن في: هلم إلى الطريق

فإن تأخذ بعثرتهم يقلوا

وتبقى في الزمان بلا صديق^(٧٦)

ويخاطب تلميذه (سعيد) مخبراً إياه بتمثله للقناعة، فهو يخبره عن نهجه ويخصه بهذا الخطاب تحبباً وزيادة في التوضيح ليكون قنوته ومثله الأعلى:

إذا أصبحت عندي قيت يومي

فقلّ الهَمّ عني يا سعيد

أسلم إن أراد الله أمراً

وأترك ما أريد لما يريد^(٧٧)

ولا يكتفي بنقل رأيه في المشاهد الحوارية التي وظّفها في شعره، وإنما ينقل رأي غيره مبدياً بذلك إعجاباً واقتناعاً به ومُحَفِّراً متلقيه على تمثله، فهاهو ذا ينقل لنا رأي شيوخه وكعب بن الجراح في قوله:

شكوتُ إلى وكعب سوءَ حظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخوني بئنّ العلم فير

ونور الله لا يهدي لعاصي^(٧٨)

وأحياناً يخاطب الشافعي مخاطباً مقصوداً، يخصّه بنصح ووعظ، كما جاء في قوله مخاطباً الأشدءاء حاثاً إياهم على الجود، مستخدماً تركيب السؤال الدال على التشكيك والنفي، وموظفاً المفعول المطلق زيادة في تخويفهم وتحذيرهم:

إذا لم تجودوا والأمور بكم تُمضى

وقد ملكت أيديكم البسط والقبضا

فماذا رَجَى منكم إن عزَلْتُم

وعضدْتكم الدنيا بأنيابها عضا؟!^(٧٩)

ويخاطب من نصب نفسه واعظاً للناس، ونسي أن يعظ نفسه، مُستهلاً حواراً بمنادات ليثيقت من غفلته، ويتنبه فيقوم سلوكه:

يا واعظ الناس عما أنت فاعله

يا من يعدّ عليه العمر بالنفس

احفظ لشبيك من عيب يدنسه

إن البياض قليل الحمل للدنس^(٨٠)

ويحمل الشافعي متلقياً افتراضياً رسالةً إلى من امتنع عن اعارته بعض الكتب مبتعداً عن توجيهها هو

بنفسه إليه، وهذا وعظ فيه تشهير يعم به من منع الإعارة، ومن تُسأل له نفسه بفعل مثابه، ولكنه وعظ فيه لطف وتحبب تمثّل في تكرار (لعله) التي تُظهر شغف الشافعي بالعلم وتحصيله:

ل للذي لم تلق عيبنا من رآه مثله
العلم ينهى أهله أن يمنعوهُ أهله
لعله يبذله لأهله لعله^(٨١)

ويحاور نفسه، ويُسمع المتلقي هذا الحوار الداخلي، ويجعله متفاعلاً مع الخطاب، لإحساسه بخصوصية البوح، وهذا واضح في مناجاته لله ﷻ، التي يوجه فيها وعظاً غير مباشر إلى المتلقين بكيفية مناجاة الله، وطلب مغفرته ليصبحوا عابدين عارفين:

ولمّا قسا قلبي وضافت مذاهبي

جعلت الرجا مني لعفوك سلماً

تعاطمني ذنبي فلماً قرنته

بعفوك ربي كان عفوك أعظماً

وأيقنت أن العفو منك سجية

تجود وتعفو منوّتكر ما^(٨٢)

ويقول أيضاً واعظاً يعلم الناس كيف يدعو هو الله، ويسأله من فضله، فيعلمهم بنقل سلوكه الفعلي والقولي، وهذا أسلوب مُحَفِّز في الوعظ:

يا سميع الدعاء كن عند ظني

واكفني من كفيته الثور مني

وأعني على رضاك وصيد لي

في أموري وعافني واعف عني^(٨٣)

وهكذا أدى الحوار، بما فيه من كسر جمود التلقي، دوره في تحفيز المتلقي، وجعله جزءاً من المشهد، وتخصيصه بالخطاب، لتقترب الفكرة من ذهنه وقلبه، وتتشكل عنده قناعة تدفعه إلى السلوك المأمور عند الشافعي.

سابعا: أسلوب التفصيل بعد الإجمال:

استعمل الشافعي في توضيح فكرته وبيانها أسلوب التفصيل بعد الإجمال، وفيه يؤكد المعنى مرتين، مرة جملة مكثفة مختصرة، وأخرى مفصلة، تلمّ الفكرة من

زواياها المتعددة وتظهر عناصرها ومكوناتها، وكلما اتضحت الفكرة ورُتبت عناصرها، وفُصِّلت كان لها أثر في ذات المتلقي.

يقول الشافعي مبيناً طرائق اكتساب العلم، مُجملاً الفكرة ثم مُفصلاً:

أخي لن تتال العلم إلا بستة

سأُنِيكَ عن تفصيلها ببلين

ذكاءٌ وحرصٌ، واجتهادٌ، وبلغةٌ

وصحبةٌ أستاذٌ وطولٌ زمني^(٨٤)

إنه يبدأ ببناء المتلقي مُلقباً إياه بما يُقر به منه، ويُظهر حرصه على مصلحته فيما يدعوه إليه في خطابه (أخي)، ويسقط أداة النداء موحياً بالقرب والهمس، الدال على خصوصية الخطاب، وهذا يدل على كون نصيحته كنزاً ثميناً لمن يعيها ويطبّقها.

ويطلق على مسامع هذا المتلقي خيراً قاطعاً بالنفي: (لن تتال العلم)، ثم يحصر طرق نيل العلم الوحيدة ليلزمه بها (إلا بستة) ويتبعها بقوله بأنه سيفصلها بعد أن شوق متلقيه لمعرفة هذه الطرق الوحيدة، ويأخذ ببيانها نظاماً إياها في مفردات في الشطر الأول، وتركيبين إضافيين في الشطر الثاني مما يُسهل حفظها واستنكارها وتمثلها. ويُفصّل مبيناً رأيه الذي أجمله في حديثه عن مشيئة الله في قوله:

فما شئتَ كان وإن لم أشأ

وما شئتَ إن لم تشأ لم يكن

خلقتَ العباد على ما علمتَ

ففي العلم يجري الفتى والمسكين:

على ذا منتنت، وهذا خذلت

وذاك أعنتَ وذا لم تُعن

فمنهم شقيٌّ، ومنهم سعيدٌ

ومنهم قبيحٌ ومنهم حسن^(٨٥)

إنه يُناجي الله ﷻ، وهو يخاطب في الوقت ذاته المخاطبين واعظاً إياهم بالتسليم المطلَق لهذه المشيئة ويُفصّل تجلياتها بما فيها من مقابلات.

وينصح الشافعي المتلقي بالعلم والمعرفة، مفصلاً نصيحته ببيانه أن العلم يُكبر الصغير، والجهل يُصغر الكبير، وبهذه الصورة التفصيلية يُوقف المتلقي على ما في هذه الثنائية الضدية من أهمية العلم والتزوّد به، وفيه سينال الرفعة وإن لم يكن صاحب جاه و مال، وهذا وعظ بالتحفيز والإغراء، يقول:

تعلّم فليس المرءُ يولدُ عالماً

وليس أخو علم كمن هو جاهلٌ

وإنّ كبير القوم لا علم عنده

صغيرٌ إذا الفتّ عليه الجاهلُ

وإنّ صغير القوم إن كان عالماً

كبيرٌ إذا رُدّت عليه المحافى^(٨٦)

ويعدد مُفصلاً إغراءات الدنيا بعد أن يُطلق عليها حكماً، مُمثلاً إياها بصورة النبال المنطلقة بقوة وشراسة من القوس:

إنّي بليتُ بأربع يرميني

بالنبل عن قوسٍ لهنّ صريرُ:

إبلنُ، والدنيا ونفسي والهوى

أنّي يفيءُ من الهوى نحريرُ!^(٨٧)

ويقول في الدهر المُتقلب:

الدهرُ يومان: ذا أنى وذا خطُ

والعيش عيشانُ ذا صفوٌّ وذا كهرُ^(٨٨)

إنه يفصّل بعد أن أخبر مُجملاً: (الدهر يومان) و(العيش عيشان)، واستخدم الأسلوب ذاته في التفصيل، حيث كرّر اسم الإشارة (ذا) ويدلّ التكرار على المساواة بين الأضداد، وهذا مقصد الشافعي في وعظه بالرضا والتسليم وقبول الدهر وتناقضاته.

ويُعدّد فوائد السفر بعد أن يُجملها في خمس فوائد، ولا يخفى دور التعداد في الحصر، والتوضيح، والترتيب، والعون على الحفظ والاستنكار:

تغرّب عن الأوطان في طلب العُلا

وسافر ففي الأسفار خميُّ فواكٍ

تَدُجُ همٌّ واكتسبُ معيشة

وعلمٌ وآدابٌ وصحبةٌ ماجد^(٨٩)

ثامناً: أسلوب الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

إن الاستشهاد بالقرآن الكريم، والاستشهاد بالخطاب النبوي الشريف؛ بلفظ الحديث النبوي أو بمعناه، توثيقٌ للفكرة في نفس المتلقي، وحثٌ له على تصديقها وتنفيذها، ولذا وظّف الشافعي هذين الخطابين في عدد من أشعاره، يقول مُفتياً في موضوع الدّين والاقتراض:

أُنلني بالذي استقرضتَ خطأً
وأشهدُ معشراً قد شاهدوه
فإنَّ اللهَ خلّاقَ البرايا

عنتَ لجلالِ هيبتِهِ الوجوهُ
يقول: "إذا تداينتُم بدنُ
إلى أجلِ مسمَى فاكْتبوه"^(٩٠)

إنه يستشهد في نصحه ووعظه لمتلقيه بما جاء في (سورة البقرة: الآية ٢٨٢)، المُفصّلة لأحكام الدّين، وهذا أقوى في الحثّ على تنفيذ طلبه بتوثيق الدّين كتابةً وشهادةً.

وتظهر عبارة (الصبر الجميل)، وهي عبارة واردة في القرآن الكريم في (سورة يوسف، الآية: ٨٣)، في قوله يستقرّب الفرج داعياً متلقيه إلى الصبر:

صبراً جميلاً ما أقربُ الوَجَا

من راقب الله في الأمور نجا^(٩١)

وتظهر عبارة (فما ربحت تجارتهم) الواردة في (سورة البقرة، الآية: ١٦)، في قوله مُحذراً متلقيه من التجارة الخاسرة حين يستغني عن التقوى من أجل الدنيا وملذّاتها:

قضاة الدهر قد ضلّوا

فقد بانّت خسارتهم

فباعوا الدّين بالدنيا

فما ربحت تجارتهم^(٩٢)

وعبارة (وأرض الله واسعة) في قوله داعياً الإنسان إلى التسليم بالقضاء خيره وشره والرضا به، وهي عبارة اقتبسها من قوله تعالى في سورة الزمر، الآية: ١٠:

وأرضُ اللهُ واسعةٌ ولكن

إذا نزلَ القضاء ضاقَ الفضاءُ^(٩٣)

وقال الشافعي مُضمناً بيته الشعري معاني أربعة أحاديث نبوية شريفة:

عمدة الخير عندنا كلمتُ

أربعُ قالهنَّ خيرُ البريةِ

اتقِ المشبّهتِ وازهدِ ودعِ ما

ليس يعينكِ واعملْ بِنِيهِ^(٩٤)

إنه يقنع البرية بتقديم وعظ خير البرية محمد، ﷺ، واصفاً ما جاء في خطابه بأنه (عمدة الخير)، وفي هذا تشويق لسماع وعظ رسول الله ﷺ، وعناصر هذا الخطاب كلمات أربع، ويقصد بالكلمات النصائح أو المقولات.

ويقول مُبدياً رأيه في أفضل العلوم، وكأنه بهذا البيان يحثُ المتلقي على تحصيل هذا النوع من العلوم:

كل العلوم سوى القرآن مشغلةٌ

إلا الحديثُ وإلا الفقه في الدّين

العلم ما كان فيه (قال، حدثنا)

وملّوى ذاك وسواسُ الشياطين^(٩٥)

ففي قوله (قال) إشارة إلى الخطاب الإلهي في القرآن الكريم، وفي قوله (حدثنا) إشارة إلى السند في رواية حديث رسول الله ﷺ.

وأما بعد،

فهذا غيضٌ من فيضٍ في أسلوب الإمام الشافعي الشعري في وعظ المتلقي ونصحه وإرشاده، والمتأمل في هذا الشعر قد يعثر على أساليب أخرى من أساليب الإقناع، ولكن هذه الدراسة توقفت عند أظهر هذه الأساليب وأكثرها حضوراً.

وقد خرجت بأن الإمام الشافعي أثبت أن الأدب رسالة للحياة، يحرص المبدع فيها أن يغيّر مسار الأفراد نحو الأفضل، ويقوم سلوكهم بما يحقّق لهم النجاة في الدنيا والآخرة، برويته البصيرة وقدرته التعبيرية المؤثرة.

الهوامش:

(١) ينظر: طبانة، بدوي، (قضايا النقد الأدبي: الوحدة،

- تحقيق وتقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٩، ج ٢، ص ١٤٦.
- (١٢) ابن رشيقي، أبو علي الحسن (ت ٤٣٦هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٤، ج ٢، ص ٧٣.
- (١٣) فهمي مصطفى، **الدوافع النفسية**، لجنة النشر للجامعيين، القاهرة، ١٩٥٣، ص ١٠١.
- (١٤) الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)، **شرح ديوان الإمام محمد بن إدريس الشافعي**، تقديم وشرح عبد القادر محمد مايو، مراجعة أحمد فرهود، دار القلم العربي، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، قافية الهمزة، ص ٢٨.
- (١٥) المصدر السابق، قافية السين، ص ٧٦.
- (١٦) المصدر السابق، قافية الفاء، ص ٨٩.
- (١٧) المصدر السابق، قافية الهاء، ص ١٤٥.
- (١٨) المصدر السابق، قافية النون، ص ١٣١.
- (١٩) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١١٦.
- (٢٠) المصدر السابق، قافية الباء، ص ٣١.
- (٢١) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١٠٩.
- (٢٢) المصدر السابق، قافية الهمزة، ص ٢٩.
- (٢٣) المصدر السابق، قافية النون، ص ١٣٩.
- (٢٤) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧٢هـ)، **دلائل الإعجاز**، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٤٣.
- (٢٥) تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص ٥٩.
- (٢٦) الشافعي، شرح ديوان الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تقديم وشرح عبد القادر محمد مايو، قافية اللام، ص ١١٥.
- (٢٧) المصدر السابق، قافية الميم، ص ١١٧.
- (٢٨) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١٠٩.
- (٢٩) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١١٢.
- (٣٠) المصدر السابق، قافية القاف، ص ٩٦.
- (٣١) المصدر السابق، قافية السين، ص ٧٦.
- (٣٢) المصدر السابق، قافية الهمزة، ص ٢٨.
- (٣٣) المصدر السابق، قافية الراء، ص ٧١.
- (٣٤) المصدر السابق، قافية الدال، ص ٥٩.
- الالتزام، الوضع، الإطار، المضمون) ، دار المريخ للنشر، ط ١، ١٩٨٧ حيث تكلم في فصل خاص عن قضية الالتزام. وهلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ٤٧٦ حيث عقد فصلا عن مفهوم الالتزام في الشعر. وأبو حاقه، أحمد، **الالتزام في الشعر العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩.
- (٢) يُنظر مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي في عدد من المراجع نذكر منها: النحوي، عدنان، **الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته**، دار النحوي للنشر، ط ١، ٢٠٠٣. وقطب، محمد، **منهج الفن الإسلامي**، دار الشروق، ط ٧، ٢٠٠٦. والخنين، ناصر عبد الرحمن، **الالتزام الإسلامي في الشعر**، مكتبة الرشد، ط ١، ٢٠٠٣. والباشا، عبد الرحمن رأفت، **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، دار الأدب الإسلامي، ط ٤، ١٩٩٧.
- (٣) النحوي، عدنان، **أدب الوصايا والمواعظ: منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية**، دار النحوي، الرياض، ط ١، ١٩٩٨، ص ٢٧٠ - ٢٦٩.
- (4) <http://www.kasnazan.com/article.php?id=1186>
- (٥) الذريدي، سامية، **الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه**، عالم الكتب الحديث، جادارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٨.
- (٦) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، **الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨.
- (٧) الحباشة، صابر، **التداولية والحجاج: مداخل ونصوص**، دار صفحات، ٢٠٠٨.
- (٨) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، فصل الباء، ج ٧، ص ٤٦٦.
- (٩) الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ)، **تفسير الشعراوي/الخواطر**، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، الباب ١٣، ج ١٩، ص ١١٦٣٦.
- (١٠) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرر) .
- (١١) ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،

- (٣٥) المصدر السابق، قافية الباء، ص ٣١.
- (٣٦) المصدر السابق، قافية الدال، ص ٥٧.
- (٣٧) المصدر السابق، قافية الميم، ص ١٢٧.
- (٣٨) المصدر السابق، قافية الباء، ص ٤٢.
- (٣٩) المصدر السابق، قافية الباء، ص ٣٤.
- (٤٠) المصدر السابق، قافية الياء، ص ١٥٣.
- (٤١) المصدر السابق، قافية النون، ص ٦٣٣ + ١٣٤.
- (٤٢) المصدر السابق، قافية الهاء، ص ١٤٨.
- (٤٣) المصدر السابق، قافية الهاء، ص ١٤٨.
- (٤٤) المصدر السابق، قافية الهاء، ص ١٤٩.
- (٤٥) المصدر السابق، قافية الهاء، ص ١٤٩.
- (٤٦) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١١٠.
- (٤٧) المصدر السابق، قافية الفاء، ص ٨٩.
- (٤٨) المصدر السابق، قافية الدال، ص ٦٠.
- (٤٩) المصدر السابق، قافية الهاء، ص ١٤٤.
- (٥٠) المصدر السابق، قافية النون، ص ١٣٢.
- (٥١) المصدر السابق، قافية النون، ص ١٣٢.
- (٥٢) المصدر السابق، قافية القاف، ص ١٠٠.
- (٥٣) المصدر السابق، قافية الكاف، ص ١٠٣.
- (٥٤) المصدر السابق، قافية السين، ص ٧٥.
- (٥٥) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١١٢.
- (٥٦) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١٠٩.
- (٥٧) المصدر السابق، قافية الصاد، ص ٧٩.
- (٥٨) المصدر السابق، قافية الحاء، ص ٥٢.
- (٥٩) المصدر السابق، قافية التاء، ص ٤٤.
- (٦٠) المصدر السابق، قافية الهمزة، ص ٢٨.
- (٦١) المصدر السابق، قافية الميم، ص ١٢٣.
- (٦٢) المصدر السابق، قافية الراء، ص ٦٨.
- (٦٣) المصدر السابق، قافية الباء، ص ٤٠.
- (٦٤) المصدر السابق، قافية القاف، ص ٩٧.
- (٦٥) المصدر السابق، قافية السين، ص ٧٦.
- (٦٦) المصدر السابق، قافية القاف، ص ٩٨.
- (٦٧) المصدر السابق، قافية السين، ص ٧٦.
- (٦٨) المصدر السابق، قافية الهمزة، ص ٢٩.
- (٦٩) المصدر السابق، قافية الباء، ص ٣١.
- (٧٠) المصدر السابق، قافية الباء، ص ٣٤.
- (٧١) المصدر السابق، قافية الحاء، ص ٥٢.
- (٧٢) المصدر السابق، قافية الراء، ص ٦٩.
- (٧٣) المصدر السابق، قافية الراء، ص ٦٣ + ٦٤.
- (٧٤) المصدر السابق، قافية الراء، ص ٦٥.
- (٧٥) المصدر السابق، قافية الراء، ص ٦٨.
- (٧٦) المصدر السابق، قافية القاف، ص ١٠٠.
- (٧٧) المصدر السابق، قافية الدال، ص ٥٦.
- (٧٨) المصدر السابق، قافية الصاد، ص ٧٩.
- (٧٩) المصدر السابق، قافية الضاد، ص ٨١.
- (٨٠) المصدر السابق، قافية السين، ص ٧٦.
- (٨١) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١٠٨.
- (٨٢) المصدر السابق، قافية الميم، ص ٢١ + ١٢٢.
- (٨٣) المصدر السابق، قافية النون، ص ١٣٤.
- (٨٤) المصدر السابق، قافية النون، ص ١٣٦.
- (٨٥) المصدر السابق، قافية النون، ص ١٢٩.
- (٨٦) المصدر السابق، قافية اللام، ص ١١٠.
- (٨٧) المصدر السابق، قافية الراء، ص ٧١.
- (٨٨) المصدر السابق، قافية الراء، ص ٦٨.
- (٨٩) المصدر السابق، قافية الدال، ص ٦٠.
- (٩٠) المصدر السابق، قافية الهاء، ص ١٤٤.
- (٩١) المصدر السابق، قافية الجيم، ص ٤٩.
- (٩٢) المصدر السابق، قافية التاء، ص ٤٥.
- (٩٣) المصدر السابق، قافية الهمزة، ص ٢٩.
- (٩٤) المصدر السابق، قافية الهاء، ص ١٤٤، (وفي البيت إشارة إلى مجموعة من أحاديث النبي ﷺ وهي؛ قوله **الْحَالِقُ بِمَيِّنٍ**، وَالْحَرَامُ بَيْنٍ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا مَهَا كَثِيرٌ يَعْلَمَنَّ النَّاسُ، فَمَنْ اتَّقَى الْمَشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرَضَهُ ...، وقوله **لَا تَهْدُ فِي الدُّنْيَا يُدْبِكُ اللَّهُ، وَأَزْهَدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُدْبِكُ النَّاسُ**، وقوله **لَا تَدْعُ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَيْكَ بِوَرَفَانٍ الصَّدْقَ طَمَأْنِينَةً، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبةٌ** وقوله **لَا تَمُنَّ بِالْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما جاهر إليه).**
- (٩٥) المصدر السابق، قافية النون، ص ٤٠ + ١٤١.